

العطيفي في التسعين, .. بعزمت وهمة الشباب

بقلم د. عبد الآخر حماد

لم أتمالك نفسي حين اتصل بي أخي الشيخ طارق بدير ظهر الخميس الماضي (1431/5/15هـ – 2010/4/29) .. ليخبرني بوفاة أستاذنا ووالدنا الأستاذ محمد العطيفي ..
والد الإخوة الكرام الشيخ/ طارق العطيفي شفاه الله .. ووالد الأخوين الكريمين - ماجد وسمير
عليهما رحمة الله.

أقول لم أتمالك نفسي وانتابني ما يشبه عدم تصديق الخبر رغم علمي بمرض الأستاذ العطيفي ..
حيث تعرض لجلطة منذ حوالي شهر ونصف .. وقد زرته في المستشفى وفي بيته عدة مرات .. لكن
كان الأطباء يقولون إنه قد تجاوز مرحلة الخطر .. غير أنا نعلم أن قضاء الله إذا جاء لا يردده قول
طبيب ولا غيره .. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وحين أفقت من الصدمة أحببت أن أخط كلمات يسيرة عن هذا الرجل .. الذي ابتلي في نفسه
وماله وأولاده بما لم يبتل به غيره .. فلم نعهده إلا صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله تعالى، فكانت
هذه الكلمات:

بداية:

لا أذكر كم كان عمري حين رأيت الأستاذ العطيفي لأول مرة .. لكن لا أظن أنني كنت يومها قد
تجاوزت العاشرة .. حيث استمعت إليه في أحد مساجد قرينتنا (الغنائم بحري) يتحدث بعد صلاة
الجمعة.

معانٍ ليست بالكثيرة هي التي استوعبها عقلي الصغير من كلامه يومذاك .. وأقل من القليل ما ظل
عالقاً في ذاكرتي منه.

غير أبي أذكر أنه كان يتكلم بكلام يختلف في شكله ومضمونه عما كنا نألفه من أحاديث الخطباء والوعاظ في ذلك الزمان.

فإني لأذكر - إن لم تخني الذاكرة - أنه تحدث فيما تحدث عن مندوب باكستان آنذاك في الأمم المتحدة.. مشيداً بموقف له في هيئة الأمم.. حيث وقف ممسكاً بالقرآن الكريم معلناً أنه ليس لبلاده دستور إلا هذا الكتاب الكريم.

لم أكن أعرف في ذلك الوقت من هذا المتكلم ذو الهيئة الحسنة والكلام الجميل.. وحين سألتُ عنه عرفت أنه الأستاذ الشامي - هكذا كان اسم شهرته في بلدتنا - .

ولما سألت والدي عنه قالت يرحمها الله:

" أو ما تعرفه إنه من أحوالك.. ولكنه مقيم في أسيوط.. مشغول بعمله هناك.. ولذا لا تراه في الغنائم كثيراً".

أحببت الأستاذ العطيفي منذ ذلك الوقت.. وصرت أتمنى أن يأتي إلى الغنائم كثيراً حتى أراه واستمع إليه.

ولما كبرتُ صرت أذهب إليه في منزله بمدينة أسيوط مستفهماً متعلماً.. وكنت كلما جلست إليه أستفيد معلومة جديدة من رأي فقهني أو نكتة لغوية أو لمحة تاريخية.. فقد كان رحمه الله يمتاز بالثقافة الواسعة والعلم الغزير.

من هو؟

هو الأستاذ محمد أحمد أحمد عطيفي.. ولد رحمه الله في عام 1924 بالغنائم بحري.. في عائلة اشتهرت بالعلم والدين.. فقد كان جده الشيخ أحمد عطيفي حسن عالماً جليلاً.

درس بالأزهر.. وكان سلفي المعتقد منتمياً لجماعة أنصار السنة المحمدية.. وهو الذي طهر بلدتنا من الأضرحة وما يسمونه بمشاهد الأولياء والصالحين.

وقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة.. ثم التحق بالأزهر وتدرج في مراحل التعليم به إلى أن حصل على العالمية من كلية اللغة العربية في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي.

ثم التحق بمعهد المعلمين العالي بجامعة إبراهيم باشا (عين شمس حالياً) وحصل منه على دبلوم التربية.. ليعين بعدها مدرساً بمدارس وزارة التربية والتعليم.. كما عمل بالإضافة إلى ذلك في تدريس اللغة العربية في المعهد الصحي ومعهد التمريض بأسسيوط.
وظل يترقى في سلك التربية والتعليم إلى أن أحيل إلى التقاعد وهو على درجة وكيل وزارة في عام 1989م.

نشاطه الدعوي:

انتمى الأستاذ العطيبي في شبابه لجماعة الإخوان المسلمين.. وكان له كذلك اتصال بجماعة أنصار السنة الحمديّة.. وقد نشر مقالات عدة بمجلة الهدى النبوي -مجلة أنصار السنة - منذ أن كان طالباً بكلية اللغة العربية.
وأذكر أنه قد قال لي يوماً:

"إنه لم يستفد من الأزهر قدر استفادته من جماعتي أنصار السنة والإخوان المسلمين".
أما نشاطه في الدعوة إلى الله فقد كان رحمه الله داعية مفوهاً وخطيباً مؤثراً.. وقد كان في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات يخطب الجمعة في مسجد مديرية التربية والتعليم بأسسيوط.. ثم انتقل إلى مسجد الزهراء في أواخر السبعينيات وهي الفترة التي شهدت ظهور الجماعة الإسلامية في أسسيوط.

وقد تميزت خطبه في تلك الفترة بالقوة والحماسة.. والتف حوله كثير من الشباب.. ومن أجل ذلك شملته قرارات التحفظ في سبتمبر 1981.. فاعتقل هو وابنه ماجد رحمة الله عليه.. حيث بقي في التحفظ حوالي سنة ونصف.

وفي أثناء اعتقاله وقعت أحداث 1981.. فتم اعتقال ولديه الباقيين -سمير وطارق -.
وقد عانت زوجته رحمها الله كثيراً في تلك الفترة.. حيث كانت تسافر من أسسيوط إلى القاهرة لزيارتهم حاملة الزيارات لهم.. وكانت في بعض الفترات تضطر إلى الذهاب إلى ثلاثة سجون متباعدة.. لأنهم لم يكونوا في سجن واحد.

ولما أفرج عن الأستاذ العطيفي في عام 1983 .. ضُيق عليه في وظيفته.. ومنع من الترقية زمنًا.. إلى أن يسر الله له بعد ذلك من أنصفه إلى حد ما.

ثم أفرج عن أبنائه الثلاثة بعد تبرئة المحكمة لهم في أواخر عام 1984.. لكنه لم يهنأ بهم إلا قليلاً.. فما هي إلا سنوات حتى قتل ابنه ماجد رحمه الله تاركاً له طفلين صغيرين ولداً وبنثاً. وقد قام الأستاذ العطيفي على تربيتهما خير قيام.. وفي مواجهات التسعينيات فقد ابنه سميراً عليه رحمة الله.

كما قبض على ابنه المهندس طارق وناله في السجن ما نال إخوانه بل أكثر مما نال غيره.. فخرج مقعداً يمشي على كرسي متحرك.

ومع كل ذلك ظل الأستاذ محمد قوياً متماسكاً صابراً محتسباً.. إلى أن أصيب بما أشرنا إليه من الجلطة التي توفي على إثرها فرحمه الله رحمة واسعة.

مؤلفاته:

ترك الأستاذ العطيفي رحمه الله بعض المؤلفات الطيبة.. كتب معظمها في فترة الستينيات منها:

العالم والقيم الروحية

القيم الروحية في المدارس الثانوية وانحرافات الشباب

الوطن العربي الكبير

كما كان قد كتب في أواخر الخمسينيات بالاشتراك مع أساتذة آخرين كتاباً مدرسياً عنوانه:
"الرائد في الأدب والنصوص للصف الثاني الثانوي".

وهو في كتبه يدعو إلى الالتزام بأحكام الدين.. بل يطالب بنبذ القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله.

لكني لاحظت أنه يضع لها عناوين قد تبدو غريبة بالنسبة لنا.. كاستخدامه لمصطلح (القيم الروحية).. وهو المصطلح الذي كان يُذكر في ميثاق الرئيس عبد الناصر بديلاً عن ذكر الدين وأحكامه.

وأذكر أبي كنت قد ناقشته مرة في ذلك.. وكذلك في كونه يستشهد أحياناً بفقرات من الميثاق..
فرد عليّ بما حصله أنه إنما فعل ذلك من باب المداراة ليتمكنه طبع الكتاب وتوزيعه.
وقد ذكر لي ابنه المهندس طارق شفاه الله أنه بعد صدور كتاب : "القيم الروحية في المدارس
الثانوية" .. كاد والده أن يعتقل وكادت المطبعة التي طبعت الكتاب أن تغلق.. لولا أنه ذكر
للجهات الأمنية أنه كان قد بعث قبل طبع الكتاب بنسخة منه إلى الرئيس جمال عبد الناصر.. وأنه
قد جاءه من مكتب الرئيس خطابُ شكرٍ علي ذلك.. ولما أبرز لهم خطاب الرئاسة له سُقِطَ في
أيديهم وحلوا سبيله.

رحم الله أستاذنا الجليل ورفع درجته في المهديين.. وألحقنا به في الصالحين
ونسأل الله تعالى لأخينا الشيخ طارق العطيفي الصبر والسلوان.. وأن يشفيه ويعافيه
آمين.. والحمد لله رب العالمين.

عبد الآخر حماد

الخميس الموافق

22-5-1431هـ

6-4-2010م